نظرية صراع الطبقات

الجزء الخامس

الإيديولوجيا،صراع الطبقات و الوعي الطبقي

البروليتاري

الخطأ الأساسي الذي يقترفه "الاتجاه الجديد" في الإشتراكية-الديموقراطية .... هو تقديس العفوية، هو عدم فهمه أن عفوية الجماهير تتطلب منا نحن الإشتراكيين-الديموقراطيين قدرا كبيرا من الوعي. وكلما ارتفع نهوض الجماهير العفوي واتسعت الحركة، كلما ازدادت بأسرع بما لا يقاس الحاجة إلى قدر كبير من الوعي في عمل الاشتراكية-الديموقراطية النظري والسياسي والتنظيمي."

(لينين، فلاديمير. ما العمل؟ المسائل الملحة لحركتنا. موسكو: دار التقدم، 1968)

العدد 11

نظرية صراع الطبقات

الجزء الخامس

الإيديولوجيا، صراع الطبقات و الوعي الطبقي

علي محمود

تقديم

من الكلمات التي نجد صعوبة في تحديد معناها تنتصب كلمة إيديولوجيا بامتياز، ذلك أن الكلمة تخضع لتأويلات مختلفة، ترتبط بالمصالح الطبقية المختلفة، و بالتيارات الفكرية و السياسية و الإيديولوجية و الدينية و الفلسفية، فلكل تعريفه و رأيه و نقده للإيديولوجيا إن كان هناك نقد. و قد استطاع الإعلام الغربي و كلاب حراسته أن يكرسا منظورا سلبيا عن الإيديولوجيا لحد أنها أصبحت سبة تلقى في وجه كل من يحمل فكرا مخالفا أو معارضا، حتى أن الكلمة أصبح لها معنى قدحي، و في هذا تشترك مع كلمة بروباغندا، و يدخل الأمر في سياق نزع الامبريالية سلاح الإيديولوجيا و البروباغندا من يد البروليتاريا و الجماهير بشكل عام، و هو نزع سلاح من جانب واحد، أما الطرف الآخر من التناقض فيصرف الملايير من الدولارات، في إطار استراتيجيات شاملة ذات طابع إيديولوجي و دعائي، من أجل الهيمنة على الشعوب و مقدراتها الطبيعية و الاقتصادية و الثقافية و السياسية (نزع السيادة و الاستقلال).

و عموما، يمكن تعريف الإيديولوجيا بأنها نظام من الأفكار و المعتقدات و القيم تقدم منظورا للعالم، و توجه العمل، سواء بالنسبة للفرد أو على المستوى الاجتماعي و السياسي و الاقتصادي أو الديني. إنها توفر إطارا لتحليل الواقع و الحكم على الأعمال، و تحديد القواعد لما يجب فعله أو عدم فعله.

و تختلف التعريفات بين من يطلقون على الإيديولوجيا علم الأفكار، و بين من يربطونها (ماركس، انجلز، لينين) بوصف لمجموعة من الأفكار تخدم مصالح طبقة مسيطرة، و بالتالي تقوم بدور تغطية الواقع و بث الأوهام، كما أن الإيديولوجيا قد تقوم بدور آخر على الجانب الثاني من التناقض، حيث تكون سلاحا في يد البروليتاريا و الكادحين، الساعين إلى التحرر و بناء المجتمع الاشتراكي على طريق المجتمع الشيوعي، المجتمع اللاطبقي، و قد قال ماركس قولته الشهيرة في "البيان الشيوعي": **"الإيديولوجيا المسيطرة في المجتمع هي إيديولوجية الطبقة المسيطرة".**

من الناحية التاريخية، ظهر مصطلح إيديولوجيا على يد الفيلسوف الفرنسي **ديستوت دي تراسي** في نهاية القرن 18، و ذلك ليعني بها علم الأفكار، أما ماركس فقد حول المصطلح بإدخال بعد نقدي ثوري، معتبرا أن الإيديولوجيا هي نظام أفكار يعكس مصالح الطبقة المسيطرة، و ذلك عبر شرعنة أو إخفاء مصالحها الحقيقية و سلطتها، و قد رأينا أن لدى ماركس طرحا مزدوجا يجعل منها كذلك سلاحا ثوريا في يد البروليتاريا لخدمة صراعها الطبقي.

و مهما يقال عن مصطلح إيديولوجيا، فلا يوجد مجتمع أو نظام اقتصادي أو سياسي أو تشكيلة اقتصادية و اجتماعية خالية من الإيديولوجيا نظرا لوظائفها المتعددة داخل المجتمع، و من ينعتونها بالسلبية هم أول من يستعملها في حياته و نشاطه العملي.

تتضمن الإيديولوجيا بشكل عام أبعادا ثلاثة:

- **بعد معرفي** : مجموعة من الأفكار و التصورات و المعتقدات و الدوغمات.

- **بعد أخلاقي** : أحكام قيمة حول ما يجب فعله أو عدم فعله انطلاقا من منظور عام للعالم، حسب مراحل التطور الاجتماعي التاريخي (أي مراحل التطور الذي يمر منه المجتمع) فهناك أخلاق محافظة و رجعية (أفكار المدافعين عن الوضع القائم) و أخلاق تقدمية و ثورية و تحررية تعكس منحى تحرريا لدى شعوب العالم و طبقاته الثورية (أفكار التقدم و الحرية و التحرر و المساواة).

ليس هناك أخلاق أزلية و أبدية فوق المجتمع، بل هناك نسبية في الأخلاق تتغير مع تغير المجتمعات، و تتأثر بالمصالح الطبقية و بصراع الطبقات.

- **بعد معياري** : يحدد القواعد و المبادئ، التي تؤطر عمل الناس، أي واجباتهم و حقوقهم.

من خلال الأبعاد الثلاثة، تتمثل الوظيفة الأساسية للإيديولوجيا في تفسير العالم، و إعطاء رؤية عن وضع الجماعة و الأفراد، كما أن الإيديولوجيا تسطر لأصحابها فكرة عن مصيرهم المشترك، كما تقوم بشرعنة شكل السلطة (الملك ظل الله في الأرض أي أن سلطته من سلطة الله و من هنا الدعوة إلى الخنوع و الخضوع و إلى العبودية).

و في غياب نظرة نقدية، يعيش الناس تحت سطوة إيديولوجيا معينة دون إدراكهم أنهم يعيشون تحت تأثيرها، بمعنى آخر فهم يعيشون حالة استيلاب.

1) في أهمية الاستعمال الديالكتيكي للإيديولوجيا

يعرف العالم اليوم تطورا هائلا، أصبحت فيه الإيديولوجيا الثورية ذات راهنية كبرى، نظرا لموقعها في ملتقى المسائل النظرية و السياسية. لقد أبانت التحقيقات التي أقيمت في الفترات الأخيرة، أن الصورة السلبية عن الرأسمالية قد ازدادت لدى الجماهير، فمثلا في فرنسا ازدادت هذه الصورة من 70% سنة 2009 إلى 80% سنة 2014، و هذا التطور سار جنبا إلى جنب مع الاستكانة و الخنوع و الخضوع و الغموض، ففي نفس هذا التحقيق أعطى فيه المستجوبون موقفهم لصالح ما يسمى بحرية المقاولة، و من أجل تخفيض الضرائب، و ذلك في غياب بديل ذا مصداقية، ثم إن إدانة الرأسمالية هنا غير مرتبطة بأي تحليل واضح لميكانزمات الرأسمالية المدانة، و لا استيعاب سياسي للرهانات و الآفاق، و هنا تظهر أهمية الإيديولوجيا الثورية في رسم الطريق و توضيح معالمها من أجل الخروج من الرأسمالية، و في قلب هذه الإيديولوجيا توجد إشكالية التحرر، التي تمنع الإيديولوجيات السائدة الحديث عنه، و إشكالية التحرر توجد في قلب معركة الأفكار و الصراع من أجلها، و الأفكار كما رأينا مرتبطة أشد الارتباط بصراع الطبقات، خاصة و أننا نعيش اليوم سيطرة مطلقة للأطروحات النيولبيرالية و السياسات المرتبطة بها، بالرغم من فشلها الواضح، و كذلك التضبيب المعمم حول الرموز و الإشارات و الدلائل المتعلقة بالمسائل الطبقية، و العلاقات الاجتماعية للجنس و العرق، إضافة إلى صعود العنصر الديني و إداناته للحداثة، و انتقال الأحزاب الاشتراكية الديموقراطية إلى اللبيرالية، و إلى غياب بديل مقنع لدى اليسار الثوري و صعود اليمين المتطرف، و زيادة قدراته على التعبئة.

إن وصف حالة الواقع الحالي، بالرغم من كونه ناقصا، يكفي للدعوة إلى استعمال تحليل الأفكار من زاوية عرض الأسباب و النتائج بارتباط مع الواقع الاقتصادي و الاجتماعي و السياسي، و هنا تظهر راهنية الإيديولوجيا الثورية كإطار لسبر أغوار الواقع، و تقديم الآفاق و بناء البدائل، أي تقديم المشروع الشيوعي بشكل واضح كبديل حقيقي للرأسمالية.

إن عودة مصطلحات التحرر و صراع الطبقات و الاستيلاب و الاستغلال الاقتصادي و الشيوعية لدليل قوي على محاولة التخلص من الأغلال، التي وضعتها فيها الإيديولوجية السائدة و كلاب حراستها، تعود هذه المصطلحات بقوة في ظل بحر متلاطم الأمواج تفجره الأزمات المتتالية للرأسمالية العالمية.

عموما، تتناول الماركسية مسألة الإيديولوجيا من زوايا متعددة، أهمها خمس زوايا :

ا- الإيديولوجيا جزء من البنية الفوقية متميزة عن القاعدة الاقتصادية، التي تعكسها في نفس الوقت.

لقد صاغ ماركس أول مفاهيمه حول الإيديولوجيا في كتاب **"الإيديولوجيا الألمانية"**، حيث أكد ماركس و انجلز على فكرة أن وعي الناس الاجتماعي يحدده وجودهم الاجتماعي (الكائن الاجتماعي)، بمعنى آخر، أن الأفكار لا يمكن فصلها عن العلاقات الاجتماعية و القوى المنتجة في زمن محدد، أي أنها لا تنفصل عن الحياة الملموسة للأفراد و الطبقات الاجتماعية، التي تنتمي إليها، بمعنى آخر، فالصعود يتم من الأرض إلى السماء، و لا يمكن استنتاج الأرض التاريخية من سماء الأفكار حسب تعابير ماركس الأولى في شبابه. و يتناسى خصوم ماركس أن هذه الأفكار لها نوع من الاستقلالية عن القاعدة المادية، بحيث لا تكون انعكاسا ضيقا للواقع المادي، الأمر الذي يسمح لنا بفهم التصويت، الذي تعطيه فئات من الطبقة العاملة لليمين المتطرف (حالة فرنسا)، فنحن هنا تحت تأثير صراع الطبقات و موازينه في فترة محددة.

خلاصة القول، فالماركسية في طرحها للوعي الاجتماعي كانعكاس للوجود الاجتماعي، تقول بالانعكاس و بالاستقلال النسبي للأفكار.

ب- الإيديولوجيا و العرض المثالي للعلاقات الفعلية :

إن إيديولوجية طبقة صاعدة الحاملة لوعود التحرر، التي تجعلها قادرة على تقديم و التفكير في مصلحتها الطبقية، باعتبارها مصلحة المجتمع برمته، فكرة تزداد أهمية، خاصة مع ازدياد التضبيب، الذي تلف به الإيديولوجيا السائدة علاقة صراع الأفكار بمسألة صراع الطبقات، في وقت تكرس فيه الطلاق بين الرأسمالية و الديموقراطية، و هذا معطى أساسي في المرحلة الراهنة، و القادم أكثر هولا.

-ج- الأفكار السائدة و المسيطرة هي أفكار الطبقة السائدة

ساهم **أنطونيو غرامشي** في تعميق أطروحة ماركس، من خلال أطروحاته حول **الكتلة التاريخية و مسألة الهيمنة**، فالإيديولوجيا المسيطرة تسيطر عن طريق بعض عناصر الثقافات الشعبية المسيطر عليها، التي تحاول أن تلحقها و تعيد تشكيلها، و استطاع غرامشي تحليل ذلك من خلال الحديث عن ما أسماه بتشكل كتلة تاريخية و مسألة الهيمنة المرتبطة بها، و هنا يجب التوقف عن الاعتقاد بأن الأفكار الرأسمالية تقود وحدها العالم، فمن العاجل تفكيك و إعادة رسم الكتل الاجتماعية، التي تحاول أن تتبنين عبر الإيديولوجيا الرجعية فوق الطبقية، و من هنا أهمية التدخل من أجل البناء الجماعي و النشيط لثقافة سياسية بديلة، ثقافة شيوعية تستعيد

قوتها التأثيرية و التعبوية و إنسانيتها الملموسة، ذلك أنه، بينما نعيش أزمة الوعي من جهة الطبقة العاملة و الطبقات الشعبية، فإن الصراعات الاجتماعية تتأجج بين المستغلين و المستغلين، و على المناضلين إعادة بناء كل شيء عن طريق إعادة بناء التحالفات الاجتماعية و السياسية، و بناء نقط الارتكاز و النهوض من جديد.

- د- الإيديولوجيا انعكاس لعالم مقلوب

إنها مقولة أساسية للتفريق بين الإيديولوجيا و الكذب و الوهم، ويكفي العلم عموما لتذويب الخرافة، فليست الإيديولوجيا مجرد كذب و وعي زائف، ذلك أنها تعكس بشكل دقيق عالما أحمقا مقلوبا على رأسه، و قد قام ماركس بتعميق تحليله للإيديولوجيا بتحليل جديد حول الفتيشية، أي فتيشية البضائع، و ذلك في كتابه الشهير **"الرأسمال"**، و هذا ما يثبت وقوف الإيديولوجيا السائدة على أساس مادي من الاستغلال و العلاقات الاجتماعية، هذا الواقع الذي تشرعنه الإيديولوجيا السائدة.

- هـ- الإيديولوجيا كوظيفة اجتماعية

تعتبر هذه الوظيفة منطبقة على الإيديولوجيا السائدة، كما على الوسائل المستعملة للنضال ضدها، ففي نفس الوقت، عندما ننتقد الأفكار المسيطرة نقوم ببناء بديل و تفعيل ممارسات تهيء لها و تستبقها، بمعنى التفكير في بناء الاستراتيجية السياسية و بناء كتلة اجتماعية مهيمنة بتعبير غرامشي.

إن الأمر ليس نظريا فقط، بل هو عملي بدرجة كبيرة، أي أننا ننتقل من إيديولوجية الرأسمالية إلى الإيديولوجيا الشيوعية، من خلال الربط بين الوعي و الممارسة، لذلك كان ماركس و انجلز يريان أن الاعتراض على هذه الإيديولوجيا (الرأسمالية) ليس هو العلم.

إن البعد الاستراتيجي للمسألة، يقوم في التركيب بين ثلاثة أشكال من المنطق، وإن هذا التركيب هو مهمة أكثر منها واقع :

- منطق تحالف الطبقات و الفئات الطبقية ضمن أفق يجمع و يسير نحو التحرر الجماعي.

- منطق التعبير و التنظيم السياسي الديموقراطي عن هذا التحالف بهدف وضع بديل شامل يسمح بالخروج من الرأسمالية.

- منطق البلورة الجماعية يتضمن لحظة نظرية، لكنها لحظة نظرية تتأقلم باستمرار، و قادرة على ربط المشاريع بالظروف و دمج التجربة بالأفق.

و بإمكاننا اعتبار الشيوعية ليست فقط نتيجة لهذه الأشكال المترابطة من المنطق، بل الانطلاق التاريخي الفعلي، و بداية تطبيقها الفعلي.

2) الماركسية و الوعي الطبقي

إن مسألة الوعي الطبقي هي قضية مركزية لكل سياسة ثورية، لأنها تتطرق للكيفية التي من خلالها تتوصل سيرورة الطبقة العاملة إلى الفهم الجماعي و الدينامي لوضعها التاريخي، و هي كذلك التي تؤطر مفهومنا للمهام و لبنية التنظيم الثوري، بل إن التصورات في ميدان التنظيم مرتبطة بمسألة الوعي بشكل عام و بالوعي الطبقي بشكل خاص.

لقد تطرقنا إلى هذا الموضوع انطلاقا من وجهة نظر لينين صاحب أعظم بلورة لنظرية الوعي الطبقي السياسي (انظر دراستنا تحت عنوان "قراءة في كتاب "ما العمل؟" منشورات موقع"الشرارة" الماركسي- اللينيني).

و سنحاول هنا إغناء ذلك من خلال العودة إلى أطروحات ماركس في هذا المجال.

ا- مسألة الوعي بشكل عام

منذ آلاف السنين انكب إيديولوجيو المجتمعات الطبقية على دراسة مسألة الأفكار و الوعي، و في المجتمعات القديمة مثل المجتمع اليوناني كان أفلاطون و أرسطو يعتقدان أن الأفكار مسألة فطرية تولد مع الإنسان، و بأنها ترى النور بفضل الفكر، و قد صار على نهجهما الفلاسفة المسيحيون في القرون الوسطى مثل طوماس الإكويني، الذي بالنسبة له، فإن الله هو مصدر كل وعي إنساني، ثم تطور المجتمع الإقطاعي الأوروبي و ظهور بوادر الرأسمالية من داخله، فظهرت البوادر الأولى لفكر مادي، و ذلك مع باكون و ديكارت، اللذان كان يريان أن الأفكار ليست لا فطرية و لا سقطت من السماء، بل إنها، بشكل معين، نتاج للوجود المادي للإنسان، و انتشر الفكر المادي إبان المرحلة الصاعدة للبورجوازية الثورية، من خلال الفلاسفة اللذين أطلق عليهم اسم الفلاسفة الموسوعيين و في مقدمتهم ديدرو، دلامبير ...

و مع تطور الرأسمالية، وصلت المادية البورجوازية إلى قمتها مع عصر الأنوار، فقد استعملت المادية البورجوازية مجموعة من الحجج بالاعتماد على العلوم الطبيعية، و استطاعت أن تهزم

الفكر الديني المسيحي المثالي خلال الفترة الممتدة من 1740 إلى 1770، و الأطروحة الرئيسية هي أن هناك عالم مادي مستقل عنا، و بأن الاتصال بهذا العالم هو مصدر وعينا.

لقد انطلق ماركس في دراسته للوعي من فرضية وجود عالم مادي مستقل عن الذات، هكذا، و في كتابه "العائلة المقدسة" يقول :

"لا نحتاج إلى حصافة كبيرة كي نكتشف الروابط الحتمية بين المادية و الشيوعية و الاشتراكية ... إن الكائن البشري يستخلص معرفته، إحساسه ... انطلاقا من العالم الحسي".

بطبيعة الحال، هناك فوارق جوهرية بين مادية ماركس و المادية البورجوازية، و يتجلى ذلك في:

-1- يعتبر الماديون البورجوازيون الوعي كمسألة فردية، ناتجة عن تأثير الإدراك الحسي للعوامل الفيزيائية، و ذلك في تأثير على فيزيولوجية الكائن البشري المنعزل، و قد أزاح ماركس هذا الغموض في الوعي، و أبان عن حقيقة أن هذا الوعي ليس مسألة فيزيولوجية، بل ظاهرة اجتماعية و تاريخية، و بأن التغييرات في الوعي تعود إلى التغييرات التي تدخل في الوضع الاجتماعي، و بالأخص في الوضع الطبقي داخل المجتمع. إن مادية ماركس لا تنطلق من وجود للفرد البورجوازي المعزول، بل من الطبقات و العلاقات الاجتماعية، و يقول ماركس :

"يشكل مجموع علاقات الإنتاج البنية الاقتصادية للمجتمع، القاعدة الفعلية ... التي توافقها أشكال وعي اجتماعي محدد، فليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم، فعلى العكس فإن وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم" ("مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي" المقدمة، كارل ماركس).

-2- إن مادية ماركس كانت ديالكتيكية، بينما كان الماديون البورجوازيون يعتبرون الفرد معزولا، يستقبل بشكل سلبي انطباعات حسية، التي تترجم فيزيولوجيا إلى وعي، بينما كان ماركس يفسر أن المادة الخام للتجربة يتم إعادة تشكيلها بشكل نشيط من طرف مستقبليها عن طريق ميكانيزم الفكر (الذي له بعد تاريخي، ذلك أن المادية التاريخية تعتبر أن لا شيء يأتي إلى العالم بالانطلاق من العدم). ثم يتم تحويلها إلى وعي يؤثر بدوره على التجربة، و ذاك هو المعنى في "أطروحات حول فيورباخ"، حيث يقول ماركس :

"إن العيب الرئيسي لكل مادية الماضي بما فيها مادية فيورباخ، هو أن الموضوع، الواقع، العالم الحسي لا يتم استيعابه إلا في شكل موضوع أو حدس، و ليس كنشاط إنساني، باعتباره براكسيس، و ليس بطريقة ذاتية. إن النقطة الأعلى التي وصلتها المادية الحسية، أي المادية،

التي لا تستوعب العالم المادي باعتباره نشاطا عمليا هي حدس الأفراد المنعزلين في المجتمع المدني".

هكذا يظهر أنه بالنسبة للماركسية، فالوعي منتج تاريخي و اجتماعي يتم الوصول إليه بواسطة تفاعل التجربة و الوعي القائم مسبقا، و يتم إعادة تشكيله عبر الممارسة و فهم هذه الممارسة.

و عن فكرة كون الوعي هو نتاج مباشر لتجربة الأفراد أو الطبقات الاجتماعية، فهي الفكرة التي يهاجمها ماركس بالضبط عندما يقوم بنقد فيورباخ، ذلك أن هذه الفكرة هي التجريبية بالضبط في شكلها الأكثر ابتذالا. و قد ظلت هذه الفكرة حية حتى خلال حياة ماركس، سواء داخل الاشتراكية الديموقراطية الألمانية أو التفرعات الأوروبية و منها الروسية .

ب- وعي البروليتاريا

تقدم لنا المادية التاريخية إطارا لفهم و تعريف البروليتاريا، و كذلك قدراتها و حدود وعيها، فمن جهة، فإن البروليتاريا طبقة متفردة في التاريخ، فهي طبقة لا تملك شيئا، مستغلة، و تنتج جماعيا، تدفعها بدون توقف تناقضات الاقتصاد الرأسمالي إلى النضال ضد البورجوازية، و من أجل انتزاع تحررها ليس لها من اختيار سوى القضاء على الملكية الخاصة و كل أشكال السيطرة الطبقية، فليس الأمر مجرد ضرورة بالنسبة للبروليتاريا، فبحكم وضعها الاجتماعي، خلافا للطبقات الأخرى، لها القدرة على القيام بذلك. إنها طبقة ثورية **"طبقة بقيود جذرية، طبقة في المجتمع المدني، و خارج المجتمع المدني ... نظام اجتماعي، الذي هو إزالة لكل الأنظمة الاجتماعية"** كما يقول ماركس في **"نقد فلسفة القانون عند هيجل".** و يقول ماركس في مكان آخر في نفس النص، بأن تجربة البروليتاريا ليست شرطا كافيا لكي تتحرر، بل يجب كذلك تدخل الوعي (الفلسفة) في الطبقة، و جاء في قولة ماركس الشهيرة ما يلي :

"بما أن الفلسفة تجد في البروليتاريا أسلحتها المادية، فإن البروليتاريا تجد في الفلسفة أسلحتها الفكرية ... و لا يمكن أن تتحقق الفلسفة بدون القضاء على البروليتاريا، كما أن البروليتاريا لا يمكن أن تقضي على نفسها بدون تحقيق الفلسفة".

تستمر أفكار ماركس بحسب النصوص، الأفكار نفسها مصاغة بأسلوب أقل فلسفيا كما هو الحال في **"البيان الشيوعي"**، حيث كتب ماركس و انجلز بأن التجربة المباشرة للطبقة العاملة تقودها إلى تبني وعي لهويتها الطبقية، و لضرورة النضال الجماعي.

و مما جاء في" البيان الشيوعي":

"و الحال أن تطور الصناعة لا يزيد فقط في عدد البروليتاريين، بل يمركزهم كذلك كجماهير تكبر باستمرار، قوة البروليتاريين تزداد و يعون ذلك جيدا، فالاصطدامات الفردية بين العامل و البورجوازي تأخذ طابع اصطدام بين طبقتين، و العمال يبدؤون إذن في تشكيل ائتلافات ضد البورجوازية (النقابات)، و يتجمعون من أجل الدفاع عن أجورهم".

هكذا إذن، فظروف عيش البروليتاريا و نضالاتها و تفكيرها في ذلك، ترفع من وعيها لحد أنها تقدم نفسها كطبقة ذات خصوصية، و تتحدد بالحاجة إلى النضال ضد البورجوازية، لكن الهوية الطبقية لا تعني الوعي الشيوعي، و إن كانت تفترضه كمقدمة، فالبروليتاريون يعيشون في مجتمع بورجوازي يثقلهم بالعلاقات الاجتماعية المعقدة، و ببنياتها الفوقية الإيديولوجية، الشيء الذي يعني بأنه بالرغم من النضال الذي تخوضه ضد مستغليها، فإن الأغلبية الساحقة من الطبقة العاملة توجد تحت تأثير الإيديولوجيا البورجوازية، و مما جاء في **"الإيديولوجيا الألمانية"** انطلاقا من المفهوم المادي للتاريخ :

"إن أفكار الطبقة المسيطرة هي في كل مرحلة أفكار الطبقة المسيطرة، بمعنى أن الطبقة التي تمتلك القوة المادية المسيطرة في المجتمع، هي في نفس الوقت القوة الفكرية المسيطرة، فالطبقة التي تمتلك وسائل الإنتاج المادي تراقب في نفس الوقت وسائل الإنتاج الفكري بالقدر الذي تكون فيه أفكار من لا يملكون وسائل الإنتاج الفكري خاضعة لهذه الطبقة المسيطرة".

و لكي تتحول الهوية الطبقية إلى و عي شيوعي يجب أن **"ينتظم البروليتاريون في طبقة، و بالتالي في حزب سياسي"**، و في هذا السياق، فإن على البروليتاريا أن تكتسب منظورا شاملا، يتجاوز ما يمكن أن تستخلصه من وجودها المباشر، و كذلك الوعي الذي يوافقه.

إن النظام الرأسمالي هو نظام اجتماعي متناقض، تعتمل في داخله أزمات دورية. و في حدود المجتمع الرأسمالي الذي يقوم على تناقضات طبقية عدائية، فإن النزاعات المادية التي تضع الطبقات في تعارض، تشكل الميدان المناسب لتطور الأفكار الشيوعية المعارضة للأفكار المسيطرة للبورجوازية، و بطبيعة الحال فإن هذه الأفكار لا تشكل إلا أجزاء من وعي شيوعي محدود لدى بعض العمال المعزولين، أو لدى بعض الفئات داخل الطبقة العاملة، و في أغلب الأحيان فإن التجارب المكتسبة من طرف الطبقة العاملة في كفاحها ضد البورجوازية، تكسوها سياسيا التحاليل و تأويلات البورجوازية، و هذا يولد إحساسا بانتماء طبقي يظل شكلا من الوعي البورجوازي، و من أجل أن يعبر الوعي الشيوعي عن نفسه على أعلى مستوى لابد من دمج تجارب العمال، المستمدة من مواجهتهم للبورجوازية و من الواقع الاجتماعي، و تحليل ذلك

في إطار منظور شيوعي أممي، و إن القيام بذلك عن طريق البحث و الشرح للظواهر الاجتماعية هو مسألة تتعلق بدور الحزب الشيوعي.

كيف تتزود البروليتاريا بهذا الوعي؟

في "البيان الشيوعي" نقرأ ما يلي :

"كما كان الحال في مراحل أخرى، انتقل جزء من النبالة إلى البورجوازية، و في يومنا هذا انتقل جزء من البورجوازية إلى البروليتاريا، و خاصة هذا الجزء من الإيديولوجيين البورجوازيين، اللذين استطاعوا أن يرتفعوا إلى حد الفهم النظري لمجموع الحركة التاريخية".

كخلاصة أولية، نجد أن النضال العفوي بإمكانه أن يرتفع بوعيها إلى حدود الهوية الطبقية، بمعنى اعتبار أنها ليست جزءا من الشعب بل طبقة في ذاتها، و هذا يعد مقدمة ضرورية حتى تتم القفزة النوعية للوعي الطبقي، أي ظهور طبقة لذاتها، و هذا لن يتحقق إلا إذا تطورت الفلسفة، وتطور الفهم الشامل للحركة التاريخية في مجموعها و استحوذ على الطبقة، بمعنى توصل الطبقة إلى الاقتناع بضرورة حزب يحمل تأويلا علميا شاملا، و هذا التحليل الشامل يتبلور بالضرورة خارج الوضع الاقتصادي للطبقة، و خارج الإطار اليومي لوجودها و لمجموع البروليتاريا، حتى و إن ساهم بعض البروليتاريين المعزولين في بلورته.

لقد أكد ماركس باستمرار على ضرورة النضال ضد المستغلين، ذلك أنه بالنسبة له، فالنضال اليومي يجب أن يكون ميدان تدريب بالنسبة للطبقة العاملة في أفق نضالها من أجل الاشتراكية، و لذا قضى ماركس و انجلز كل حياتهما للنضال من أجل بناء أحزاب سياسية عمالية، و جر الحركة العمالية إلى الاشتراكية. و نجد هذه الأفكار مبلورة بشكل واضح في كتاب "**الأجر و السعر و الربح** "في الفصل: الصراع بين الرأسمال و العمل و نتائجه. يقول ماركس :

"لو تخلت الطبقة العاملة عن صراعها اليومي مع الرأسمال، ستحرم نفسها بشكل أكيد من إمكانية القيام بهذه الحركة أو تلك على أوسع نطاق، في نفس الوقت، و باستقلال عن العبودية العامة التي يفرضها نظام الأجور، فعلى العمال ألا يبالغوا في النتيجة النهائية لهذا النضال اليومي، و عليهم ألا تبتلعهم هذه المعارك الصغيرة التي لابد منها... عليهم أن يفهموا أن النظام الحالي مع كل المآسي و البؤس، الذي يحيطهم به، يولد في نفس الوقت الظروف المادية و الأشكال الاجتماعية الضرورية لتحررهم، فبدل الشعار المحافظ "أجر منصف ليوم عمل منصف" عليهم أن يسجلوا على رايتهم الشعار الثوري "القضاء على العمل المأجور" .

و هناك مقتطف آخر يبين الموقف المبدئي لكارل ماركس، و الذي يختلف عن مواقف التجريبين، و يؤكد على الجانب الثوري للبروليتاريا، و يقول ماركس في هذا الصدد في "**العائلة المقدسة**":

"ليست المسألة هي معرفة ما هو الهدف الذي يتخيله في هذه اللحظة هذا العضو أو ذاك من البروليتاريا، بل و حتى البروليتاريا في مجموعها، فالمسألة هي معرفة ما هي البروليتاريا، و ما يلزمها تاريخيا أن تفعله طبقا لطبيعتها".

لم يكن ماركس و انجلز ينتظران حتى تقتنع كل البروليتاريا بالأفكار الشيوعية، بل خلص إلى الفكرة القائلة بأن لا مناص من مدرسة الثورة حتى تتخلص البروليتاريا من أوهامها و تتغير بالفعل. و في "**الإيديولوجيا الألمانية**" يقول ماركس :

"إن تحولا كبيرا للناس لضروري لخلق جماهيري لهذا الوعي الشيوعي كما بالنسبة لخوض الأمر نفسه، و الحال أن تحولا من هذا القبيل لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق حركة عملية عن طريق ثورة. هذه الثورة لن تصبح فقط ضرورية لأنها الوسيلة الوحيدة لقلب الطبقة المسيطرة، بل لأنها كذلك وحدها الطريقة الوحيدة، التي تسمح للطبقة بقلب الطبقة الأخرى، و كنس كل قاذورات النظام القديم، و أن تصبح قادرة على بناء مجتمع على أسس جديدة".

إن هذا الأمر يتطلب حزبا سياسيا عماليا، يقوم بتوسيع نفوذه داخل الطبقة العاملة، و هو العمل الذي كرس ماركس و انجلز حياتهما له منذ تأسيس "**عصبة الشيوعي**" و حتى الأممية الأولى و الثانية .

يقول ماركس في "البيان الشيوعي" :

"إن الحركة البروليتارية هي حركة عفوية في الأغلبية الكبرى لصالح الأغلبية". و يقول انجلز في مقدمته لكتاب **"الصراعات الطبقية في فرنسا" 1895 :**

"إن زمن الثورات التي تنفذها أقليات صغيرة واعية على رأس جماهير غير واعية قد ولى، فهناك حيث يتعلق الأمر بتغيير شامل لتنظيم المجتمع، فالجماهير نفسها يجب أن تشارك في ذلك، و يجب أن تكون قد فهمت معنى ذلك و لماذا تتدخل قلبا و قالبا".

- إسهام لينين

أعاد لينين في كتابه "**ما العمل؟**" صياغة و عرض أفكار ماركس و انجلز حول الوعي الطبقي، أي أن الوعي الطبقي ليس انعكاسا مباشرا للوجود المادي للبروليتاريا، بل نتاجا غير مباشر يتم توسيطه عن طريق الفكر العلمي، الذي هو الممارسة و فهم هذه الممارسة، يتم إرجاعه إلى الطبقة العاملة من طرف الأقليات الثورية.

لقد جاء الطرح اللينيني في سياق بوليميك موجه ضد تيارات داخل الحركة العمالية الروسية، التي كانت تمثلها جريدتي "الفكر العمالي" و "القضية العمالية"، و قد كانت هذه التيارات تزعم أن النضال الاقتصادي يتقدم على النضال السياسي، و بأن الوعي سيتطور عبر النضال النقابي بشكل خاص، و بالتالي فمن مهام الثوريين هي تقديم دعمهم المادي للنضالات الاقتصادية للطبقة العاملة، لقد كانوا ينكرون الحاجة إلى النضال السياسي، و يستهزئون بدور المثقفين داخل الحركة العمالية، أما لينين فقد كان يرى أن الوعي الثوري لا ينتج من النضال الاقتصادي أو النضال اليومي، و من ثمة كان يؤكد على ضرورة النظرية و التنظيم و التدخل الثوري.

بطبيعة الحال، لم يكن لينين بليدا إلى الحد الذي يجعله يعتقد أن سيرورة نشر الوعي الشيوعي تتم من فراغ، بل تمد جذورها و تتغذى من هذه النضالات العمالية، التي يحللها لينين، و لا يمكن إدراك رسالة الحزب إلا إذا كان الشيوعيون يعبرون في شكل نظري عما يوافق ما تحس به البروليتاريا بدون أن تعبر عنه، و لم ينكر لينين أن العمال ليس بإمكانهم المشاركة في بلورة النظريات الاشتراكية، و يقدم في هذا الإطار نموذج برودون و ديبدزن، و قد قاموا بذلك ليس بصفتهم عمالا بسطاء بل كعمال مثقفين، و ذلك بارتباط مع نشاط سياسي. إن الأفكار و برنامج أرضية الحزب هي نتاج سيرورة مادية تجري أطوارها في المجتمع، سيرورة تاريخية. إن النظرة الشمولية للحزب هي بالتالي الإطار الوحيد الملائم الذي يسمح بفهم تجربة البروليتاريا، و الحزب بالمفهوم اللينيني ليس مفصولا عن الطبقة، بل هو عنصر في سيرورة ديالكتيكية نحو الوعي الشيوعي، الذي ينبع مباشرة من الواقع المادي، و عندما يقول لينين أن الوعي لا يمكن أن يأتي إلا من الخارج، فهو يعني أنه من خارج الحدود المادية للنضالات المباشرة نفسها، و لا يعني من خارج السيرورة الاجتماعية القائمة، و في الواقع، فإن فكرة النضال الاقتصادي لا تولد من ذاتها الوعي الاشتراكي تظهر بديهية. إن حجج خصوم لينين من الاقتصادويين و من اللذين سبقهم من الفوضويين، و من تبعهم من المجالسيين، لو كانت صحيحة لكانت الحاجة إلى حزب سياسي غير مطروحة، و قد كان هؤلاء و أولئك، يعتقدون أن صراع الطبقات لا يمكن حذفه، فهو حتمي، و نفس الشيء بالنسبة للوعي الاشتراكي، لكن لينين هو من كان على صواب و قد بين

التاريخ ذلك، فقد خاضت الطبقة العاملة الانجليزية خلال قرن نضالات اقتصادية الأكثر شراسة خلال القرن 19 و أسست نقابات ضخمة، و حددت نفسها كطبقة، لكنها لم تستطع إنتاج وعي اشتراكي من ذاتها، على العكس فالقطاع الأكثر تقدما للبروليتاريا الانجليزية أي العمال المنقبين، كان يتحرك كجناح للبورجوازية اللبيرالية دون أن يستطيع الحفاظ على استقلاليته الطبقية، و هذا ما قاله لينين، ففي غياب تدخل الشيوعيين فإن النضال الاقتصادي لا يبقى لا سياسيا، بل يتسيس، و لكن في شكل بورجوازي.

كثيرا ما يشير خصوم اللينينية إلى أن لينين تراجع عن أفكاره الواردة في كتابه "ما العمل؟"، و غالبا ما يكون هؤلاء غير مدركين للسياق التاريخي الذي جاء فيه هذا الكتاب (الطابع البوليميكي) و الحال أن ما جاء به لينين من جديد هو تقويم بنيات الحزب حسب مراحل المد و الجزر و للحركة العمالية الثورية و ما يرتبط بها، سواء صعود النضال الجماهيري، أو تزايد القمع و الحصار البوليسي (انظر في هذا السياق كراسة "اثنا عشر سنة من بعد").

إن الأحكام الواردة في "ما العمل؟" لم يتخل عنها لينين أبدا، ففكرة أن الحزب مهمته المجيء بالوعي الشيوعي إلى البروليتاريا لم يتخل عنها أبدا، بينما تطرق لاحقا إلى بنية الحزب بحسب الظروف التاريخية، فخلال المرحلة الممتدة من 1900 إلى 1905، الفترة التي صاغ فيها كراسة "ما العمل؟" كانت الظروف تتميز بغياب شرعية للعمل الثوري، الشيء الذي كان يفرض على الحزب أن يظل أقلية سرية، لكن انتفاضة 1905 غيرت المعطى، لأنها سمحت للحزب باستقطاب جماهير واسعة من العمال، و كذلك المشاركة في انتخابات الدوما و السماح بوجود تيارات داخل صفوف البلاشفة. لقد كان الأمر يتعلق بالاختلاف بين مرحلة السرية المطلقة التي كان يعيش فيها الحزب في ظل قمع قيصري لا يرحم، و مرحلة صعود الحركة الجماهيرية و خروج الحزب إلى العمل الجماهيري الواسع إبان انتفاضة 1905، و ما واكبها من مد نضالي جماهيري، و من هنا، فإن التعديل الذي حصل على مستوى التكتيك و بنية التنظيم البلشفي قد تم في سياق الانتقال من مرحلة العمل اللاشرعي إلى مرحلة العمل الشرعي، و هذا لم يغير في شيء من مسألة الوعي الطبقي، و التي حسبها لا يمكن للنضال اليومي أن يكون كافيا لتطور الوعي الشيوعي.

- وجهة نظر روزا لوكسمبورغ

لم تكن روزا لوكسمبورغ كما يعتقد، ترفض الحاجة إلى حزب شيوعي، بل إنها رفضت فكرة أن الحزب هو الوحيد، أو أنه الحامل الرئيسي للوعي الطبقي. إن التحاليل الخاطئة لروزا لوكسمبورغ حول الوعي الطبقي، و كذلك فهمها لمسألة أزمة الرأسمالية، هي أخطاء تعبر عن عجزها في

الانتقال من التجربة البسيطة و التجريبية و الارتقاء إلى مستوى التحليل العلمي، و قد عبرت روزا عن آرائها في مرحلة ظهرت فيها ميولات كبيرة للانتهازية داخل الحزب الاشتراكي الديموقراطي، و ظهور إضرابات جماهيرية واسعة في روسيا، و قد تحمست روزا لهذه الإضرابات، التي كانت ترى فيها مصدر وعي اشتراكي، و بالتالي تصحيحا لانتهازية الاشتراكية الديموقراطية، و قد تأخرت روزا في تقديم أطروحتها المركزية حول انتهازية الاشتراكية الديموقراطية الألمانية، و تقول روزا لوكسمبورغ في خطاب حول البرنامج :

"بحسب نظرهم فإن تربية الجماهير البروليتارية على الروح الاشتراكية هي تقديم محاضرات و توزيع مناشير و كراسات، لا، فإن المدرسة الاشتراكية للبروليتاريين، ليست في حاجة إلى هذا، فالنشاط نفسه هو الذي يربي الجماهير".

إذا كان نشاط الجماهير هو أساس ضروري، بل و خزان ضروري لتدخل الداعية و المحرض، بل و يسمح للبروليتاريا بإمكانية تبني الشعار و برنامج الحزب، فمن الخطأ، بل و من الخطأ الكبير الزعم أن النشاط وحده يربي الجماهير في روح ثورية اشتراكية. لو كان النشاط هو مصدر الوعي الاشتراكي الجماهيري لكانت الثورات قد قامت منذ زمان، فالاعتقاد بأن نشاط الجماهير له إمكانية جر هذه الأخيرة إلى الوعي الاشتراكي- و روزا لوكسمبورغ كانت تعتقد أن حركة البروليتاريا الألمانية ستصحح أوتوماتيكيا انحرافات البيروقراطية و الانتهازية للاشتراكية الديموقراطية- قد أدى بها إلى إغفال الحاجة إلى نضال الفصائل داخل هذه الأخيرة، في مرحلة أولى ثم ضدها بعد ذلك، و لم تستطع روزا تجاوز خطأها القاتل، الذي ظهر في كتاباتها سنة 1906.

إن مفهوم مدرسة التجربة كمدرسة للوعي الطبقي و النضال من أجل السلطة كمظهر "هامشي" للنضال الجماهيري العفوي، انطلاقا من ذلك فليس غريبا أن سقطت روزا لوكسمبورغ في سوء تقدير دور الحزب، فقد كانت تقول مثلا بأن أعمال الحزب يمكن أن "تسرع أو تؤخر" تطور الوعي الطبقي، الذي هو نتاج ل "القوانين التاريخية". بالنسبة لروزا لم يكن الحزب أداة لأخذ السلطة، بل هو من تسقط في يده السلطة كفاكهة ناضجة عندما تنضج البروليتاريا بشكل مستقل، و تقول في هذا الصدد :

"إن انتصار "عصبة سبارتاكوس" لا تتموقع في بداية بل في نهاية الثورة، إنها تختلط مع انتصار الجماهير الواسعة من البروليتاريا الاشتراكية ("برنامج الحزب الشيوعي لألمانيا").

لقد كانت روزا تعتقد أن النضال الاقتصادي للطبقة العاملة يتحول إلى نضال سياسي، و العكس صحيح.

و في أحد المقتطفات يعتمده كثيرا تيار العفويين، تقول روزا لوكسمبرغ :

"في كلمة واحدة، إن النضال الاقتصادي، هو الذي ينقل بشكل دائم الحركة من عقدة سياسية إلى أخرى. إن النضال السياسي هو التخصيب الدوري للميدان عن طريق النضال الاقتصادي، فالسبب و النتيجة يتبادلان التأثير في كل لحظة، و هكذا، فالعنصر الاقتصادي و العنصر السياسي بعيدا عن تميز هذا عن ذاك، أو طرد هذا لذاك، كما يريد ذلك التحذلق التخطيطي، إنهما لا يشكلان على العكس سوى وجهان متداخلان للصراع الطبقي البروليتاري في روسيا" ("الإضراب العام، الحزب و النقابة" روزا لوكسمبورغ).

لقد كانت روزا تتميز بجمالية نثرها، لكن هذا كان يغطي على فقر حجتها، فصحيح أن النضالات الاقتصادية للطبقة العاملة، خاصة تلك التي لها طابع جماهيري تطرح مطالب "سياسية"، تظهر أن الطبقة تخلق هويتها الطبقية، و تطرح في المقدمة مصالحها الاقتصادية و السياسية عندما تناضل، لكن الوعي، الذي تولده هذه النضالات، أي المطالب السياسية المبلورة بشكل عفوي، لم تكن أبدا و لن تكون أبدا شيوعية بشكل مباشر. إن الإضرابات الجماهيرية للحركة الشارتية (الميثاقية) الانجليزية (1839 – 1842) لم تكن فقط إضرابات اقتصادية، فقد طرحت مطالب سياسية كما هو الحال بالنسبة للبروليتاريا البولونية 1980-1981 لم تكن مجرد نضالات اقتصادية، بل أدت إلى مواجهات سياسية. هكذا، فكلا النموذجين قد سقط في أهداف ذات توجهات سياسية بورجوازية، و اعتبرت تقدمية، أما الحالة الثانية فاعتبرت رجعية.

إن ما نسيته روزا في مقالها حول الإضراب الجماهيري في روسيا، و في مدحها لشكل النضال، هو المضمون السياسي لهذا النضال، ففي البداية كانت الحركة قد سقطت في مطالب الديموقراطية البورجوازية، في وقت كان المناشفة حلفاء روزا على رأس الحركة، فرفضوا الحفاظ على الاستقلالية السياسية للطبقة العاملة، و عندما تعزز وضع البلاشفة خاصة في موسكو، قطعت الطبقة العاملة سياسيا مع السياسة البورجوازية، و تم ربحها لصالح السياسة الاشتراكية الديموقراطية، محاولة فرض هيمنتها في الثورة. إن هذا البعد هو ما غاب في تحديد الآفاق عند روزا لوكسمبورغ.

خلاصة عامة

في البدء كان مفهوم الوعي الطبقي يشير إلى التمييز الذي وضعه ماركس بين الطبقة في ذاتها و الطبقة لذاتها، انطلاقا من هذا، اعتبر ماركس أن بلترة الأفراد و تجميعهم في معامل (الطبقة في ذاتها) سيعمل على انبثاق ذاتيات جديدة، و بالتالي أفكارا جديدة، أي قراءة جديدة للعالم منبثقة

من وضعية الاستغلال في العلاقات الاجتماعية للإنتاج، أي أن الأفراد المبلترين سيعملون على تطوير وعي بوضعية الاستغلال، و بضرورة النضال ضدها عن طريق تطور طبقة منظمة جماعيا، نقابيا و سياسيا (طبقة لذاتها).

عموما، فالإشكالية تتعلق بكيفية إدراك العمال للاستغلال الذي يتعرض له عملهم من طرف الرأسمال، و لإمكانية التحرر من ذلك. إن السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو، **هل لا زالت إشكالية الوعي الطبقي مطروحة الآن؟** علما أن السياق الأكاديمي و الجيلي، يتميز الآن باختفاء الماركسية و عزل المنظرين و الموضوعات الماركسية، و تندرج في هذا السياق مسألة الوعي الطبقي التي أصبحت مغيبة من الأعمال السوسيولوجية حول عالم العمل. هكذا اختفت مسألة الوعي الطبقي سواء كموضوع للبحث، أو كمفهوم منبثق عن الماركسية.

و يظهر الواقع الامبريقي أن هناك تناقض على مستويين، ذلك أن حركية النزاع الاجتماعي ذات الصلة بالعمل لم تختف قط، فالتحركات العمالية حول الأجور و التقاعد و حول تنظيم العمل و الشغل، و كذلك حول الظروف المادية للعيش، كما تثبت ذلك النضالات العمالية في فرنسا و حركة السترات الصفراء، ثم حملة "كفى ثم كفى" في بريطانيا، إلى إضراب العمال في قطاع السيارات في الولايات المتحدة الأمريكية، و آلاف الإضرابات العمالية في الصين، و الحملات المناهضة للنهب و السرقة نيوكولونيالية في دول الأطراف، إن هذه النضالات و عشرات الآلاف منها تنتج بشكل واضح من أشكال الوعي المتنامي و التعبئة حول النزاعات الاجتماعية المتمحورة حول توزيع الخيرات المنتجة و الظلم الاقتصادي و استغلال و السيطرة على العمل.

إن القول بكل هذا، لا يعني أن هناك وضع يتميز بإضعاف الطبقة العاملة الغربية منذ الربع الأخير من القرن 20. لقد أصبحت هناك صعوبة في فرض أجندة سياسية مختلفة. إن نزع التأهيل الرمزي و أشكال جعل الاستغلال غير مرئي سياسيا و عبر وسائط أصبحت طاغية لضعف الحركة الشيوعية المحلية و العالمية.

مراجع :

- "الإيديولوجيا و صراع الطبقات اليوم، اين وصلت معركة الأفكار؟"، إيزابيل غارو .

- "بعض الملاحظات بصدد صراع الطبقات في الإيديولوجيا"، بيير ريبوليت .

- "الاستيلاب و الإيديولوجيا"، ماركس 2018 .

- "الإيديولوجيا، الأمثلة و الوقائع"، مونتورشوو.

- "الرجوع إلى مفهوم الاستيلاب عند ماركس". (مراجع باللغة الفرنسية)

- "الإيديولوجيا الألمانية" كارل ماركس

- "البيان الشيوعي" كارل ماركس و فردريك انجلز

- "نقد فلسفة الحق و القانون عند هيجل" كارل ماركس

- "بؤس الفلسفة" كارل ماركس

- "الأجر، الربح و السعار" كارل ماركس

- "الصراعات الطبقية في فرنسا" كارل ماركس

- "ما العمل؟" لينين

- "خطوة إلى الأمام خطوتان إلى الوراء" لينين

- "حول بعض قضايا التنظيم في الثورة الروسية" روزا لكسمبورغ

علي محمود